الخطاب القيمي في القصة القطرية

الإشكالية... والممارسة

د. رامي أبو شهاب
جامعة قطر
rabushehab@qu.edu.qa

تاريخ الاستلام: 2017/6/12
تاريخ القـــبول: 2017/9/10

الملخص :

ينهـض هذا البحث على فرضية قوامها تجذّر المنظومة القيميّـة في القصة القطرية لا بوصفها مضامين موجّهة إنما بوصفهـا ظاهرةً خطابيةً من مبدأ تواترها وهيمنتها على الكتابة القصصية من زمن البدايات إلى يومنا هذا، مما يعني بـأن ثمـة مواقف تطالُ هذا التّمركز حول القيم لاعتبارات ثقافية ما. وعلى الرّغم من تعدد الآراء واختلافها حول مسألة الرّيـادة بيـد أن الملاحظ طغيـان الإشكال القيمي الناشئ عن مخاطـر التّحولات الطّارئة مما يـشي بالخوف من جَراء انهيـار المنظومـة القيمية أو حتى محاولة تعديلها مما يعني تنازعاً قيمياً بات يبرز في القصة القطرية المعاصرة، ولاسيما في ضوء تيـارات ما بعـد الحداثة الهادفة إلى تبديـد الخصائص المميـزة للمجتمعات، ونقض سردياتهـا الكُبرى. فثمة خطـرٌ يتحـددُ بشيوع مسلك التّلاشي للثقافة القائمة على منظومة قيميـة تستندُ إلى إرث تاريخي وديني واجتماعي، هذا بالمحصلة يقود إلى خَرق الهوية، وتبديد ملامحها، كما أنه يحملُ مخاطر يطال إدراك الذّات الثقافية لحدودها المعرفية والمسلكيّة، ولا سيما لدى الأجيال التي تعني نتاجاً ما بعد حداثي، ومن هنا تلجأ الثقافاتُ إلى تبني خطاب «قيمي» بهدف مقاومـة سُلطـة الخطابات الطارئة بما تمتلكه مـن قوة تتمثلُ بالانفتاح المعرفي، وتبديد الحـدود نتيجة إحلال قيم رقميّة افتراضيـة، باتت تمتلك سلطـةً تفوق أية سلطة أخرى سواء أكانت سلطة الأسرة، أم المجتمع، أم الدولة، فضلاً عن قدرة القيـم الجديدة على منافسة العقائد الدينيـة، والأيدولوجية ما أفضى إلى تبني استراتيجيتين خطابيتين: الأولى سكونية تسعى إلى صون النموذج القيمي المميز للمجتمع، والثانية دينامية تهدف إلى تقويض بعض القيم، أو استبدالها.

الكلمات المفاتيح:

الخطاب– القيم– القصة– القطرية – المعاصرة– الثقافة

The value discourse in the modern Qatari story

problem and practice

Dr Rami Abu Shehab
Qatar University
rabushehab@qu.edu.qa

Abstract

This paper is based on the hypothesis that value system is rooted in modern Qatari story, not as a topic or a subject but as a discourse phenomenon. This discourse has a stable position in the Qatari culture. It is noticed in modern Qatari story since the beginning until now. In This paper we will apply a cultural approach to guide us in understanding the motives and the context of the values of writings in the Qatari story.

There is no doubt that cultural elements plays a substantial role in individuals behaviours, and that there are always fears of losing the cultural identity or missing the features and values of the society that are linked to a its heritage, religion, history, customs and traditions. These fears arise particularly in confrontation with globalism and postmodernism that threaten this system of values. We noticed two trends of writing: the first one is looking to replace the old values with new ones, to deconstruct some society practices that do not meet a new perspective of the world, where women demand more rights, and the human, in general, seeks more freedom and choices; whereas the second type is trying to maintain the historical value and identity.

Keywords:

Discourse – Value - Story – Qatar – Modern - Culture

المُشكلة والفرضيّة

ينهض هذا البحث على فرضية قوامها تجذّر المنظومة القيميّة في القصة القطرية لا بوصفها مضامين موجّهة إنما بوصفها ظاهرةً خطابيةً، وذلك من مبدأ تواترها وهيمنتها من زمن البدايات إلى يومنا هذا، مما يعني بأن ثمة مواقف تطالُ هذا التّمركز حول القيم لاعتبارات ثقافية ما. وعلى الرّغم من تعدد الآراء واختلافها حول مسألة الرّيادة التي يتنازعها كل من يوسف النعمة ومجموعته الأولى» بنت الخليج 1962»، وإبراهيم صقر المريخي وقصته» الحنين» [1] 1971، أو حتى أحمد عبد الملك وقصته «ذكرى لن تموت» 1970 التي يرى محمد مصطفى سليم بأنها البداية الحقيقية للقصة القطرية تبعاً لبعض الاشتراطات الفنية الواجب توفّرها[2]. ولكن الملاحظ طغيان الإشكال القيمي الناشئ عن مخاطر التّحولات الطّارئة على المجتمع على كافة هذه القصص مما يشي بالخوف من جَراء انهيار المنظومة القيمية أو حتى محاولة تعديلها من قبل البعض، وهذا يعني تنازعاً قيمياً بات يتخذُ وجاهةً في الزمن المعاصر، ولاسيما في ضوء تيارات ما بعد الحداثة الهادفة إلى تبديد الخصائص المميزة للمجتمعات، ونقض سردياتها الكُبرى.

ثمة خطرٌ يتحددُ بشيوع مسلك التّلاشي للثقافة القائمة على منظومة قيمية تستندُ إلى إرثٍ تاريخي وديني واجتماعي، هذا بالمحصلة يقود إلى خَرق الهوية، وتبديد ملامحها، كما أنه يحملُ مخاطر يطال إدراك الذّات الثقافية لحدودها المعرفية والمسلكيّة، ولا سيما لدى الأجيال التي تعني نتاجاً ما بعد حداثي، ومن هنا، تلجأ الثقافاتُ إلى تبني خطاب «قيمي» بهدف مقاومة سُلطة الخطابات الطارئة بما تمتلكه من قوة تتمثلُ بالانفتاح المعرفي، وتبديد الحدود نتيجة إحلال قيم رقميّة افتراضية، باتت تمتلك سلطةً تفوق أية سلطة أخرى سواء أكانت سلطة الأسرة، أم المجتمع، أم الدولة، فضلاً عن قدرة القيم الجديدة على منافسة العقائد الدينية، والأيدولوجية ما أفضى إلى تبني استراتيجيتين خطابيتين: الأولى سكونية تسعى إلى صون النموذج القيمي المميز للمجتمع، والثانية دينامية تهدف إلى تقويض بعض القيم، أو استبدالها.

يُشار إلى أن عدداً من الدّراسات النقدية قد أتت على شيءٍ من هذا القلق القيمي حيث قاربته من خلال توجهين: مضموني وفني، إذ رأت في القلق والاضطراب سمات ملازمة للشّخصية، ولا نعلم إن كان يقصد مرجعيتها الواقعية أم الشخصية الورقية «المتخيلة»[3]، ولكنه أحيل في كل الأحوال إلى خلل في التكوين النفسي بحيث نُصحت الشخصياتُ بضرورة الالتزام بالقيم الدينية، وقراءة القرآن بهدف الخروج من المأزق القيمي[4]! وفي سياق فني يرى كافود بأن ردود الفعل الكتابية تمثلت بطغيان الاتجاهين الرومانسي والواقعي على المشهد القصصي، ومن هنا، تكمن أهمية هذا البحث من حيث سعيه إلى اكتناه الخطاب القصصي عبر النظر إلى العوامل الثقافية المؤسسة كما الاستراتيجيات التي ميّزت موقف القصة القطرية تجاه القيم.

الهدف والمنهجية:

يتغيا هذا البحث توصيف طبيعة الخطاب القيمي، وتوجهاته بالإضافة إلى رصد مرجعياته، وتحليل أبعاده الوظيفية التي يسعى المبدعون إلى بثها عبر المتخيل الفني من خلال الاتكاء في المقام الأول على نظرية الخطاب، ومفهومه بالتجاور مع الممارسة الثقافية بوصفها ظاهرة

(1) ينظر كافود، محمد، الأدب القطري الحديث، ص 127 - 128.

(2) يضيف سليم، محمد مصطفى قصة عيسى منصور «اليتيم» تبعاً للسبق الزمني حيث صدرت عام 1960. ينظر صبري حافظ وآخرون، القصة القطرية في قطر، بيبليوجرافيا شاملة ودليل وصفي تحليلي، ص 23.

(3) ينظر كافود، محمد، وآخرون، القصة القصيرة في قطر، ص 91-96.

(4) ينظر المرجع السابق، ص ٦٩.

اجتماعيـة ثقافيـة، لكـن هذا لا يمنـع مـن الإشارة إلى تأثيرات تجذر الخطاب القيمي في دور وعظي ربما يحيف على الجماليات المنوطة بالأدب. لا بد من الإشارة إلى أن الـدراسة سوف تنأى بنفسها عن تتبـع القيم أو محاولة رصدها، فهذا ما لا تدعيـه لكون هذا النهج ينطوي على دراسة المضامـين، في حـين أن عنايتنا تتجـه إلى اختبار تنـازع القيم التي يُسعى إلى تثبيت بعضها أو على العكس خلختهـا، أو خرقها، وربما استبدالهـا تبعاً لتعالق هاتين الاستراتيجيتـين بالنـسق الهوياتي الثقـافي القائم على مرجعيات أيدولوجية مستترة.

ومـع أن هذا البحث، يعمـد إلى اعتماد مبدأ تحليلي عمودي لفهم ظاهرة التنـازع في تشكل الخطاب القيمي غير أنه يستأنس أيضاً بالمبدأ الأفقي الذي يُسوغ بالرغبة في اكتنـاه القيمي، وتحولاته الزّمنيـة عبر الاعتماد على عينـات قصصية تشكل مجتمعة الخطـاب الذي ينهض علـى ميكانـزيم التواتر والانسجـام أو التناقـض ضمن البنية العامة للقصص، وتجنب تحليل القصص بوصفها وحدات سردية منفصلة.

أولا: القيم: الإشكالية والحدود:

تُبحـث القيـم في الـدراسات الحديثـة مـن خـلال ما يعـرف بالأكسيولوجيـا Axiology وأصل الكلمـة يعود إلى مصدرين: يوناني، وفرنسي[1]، وهو العلم الذي يُعنـى بدراسة طبيعة القيم، وتقديرهـا، أو الأشياء التي ينظر لها باعتبارها ذات أهمية، أو ما هو جدير بالبقاء، أو الثّمـين[2]، أو التي ترتبط بتقدير عالٍ[3]، مع إشارات إلى التكوين المعياري للقيم التي تشمل الأخلاق والجمال والمجتمع والسّياسة والدّين كما تذهب موسوعة ستانفورد الفلسفية[4].

تنظـر الثّقافـة العربية إلى القيم مـن منظورٍ قريب الصّلـة لما يوجـد في الثقافـة الغربية، فالكلمـة مأخوذة من الجـذر الثلاثي قوم، والقيام، ومـن معانيها الثبات، وَالْجَمْـعُ قُوَّمٌ وَقِيَّمٌ، والقيمة ثمـن الشّيء، والاستقامة... القائم بالدين المستمسك بـه، والثبات عليه، ومنه أيضاً ذلك دين القيمة، أي دين الأمة القيمة بالحق[5]. يُلاحظ مـن هذه المعاني بـأن القيم تتصل بملمحـين: الأول ملح معياري (المثمن)، والثاني إجرائي (الثبات)، وكما يذكر العوا فـإن اللغة العربية تنظر إلى هـذه القيم من خلال مرجعيتهـا الدينية التي تقوم علـى الاستقامة، فلا جرم أن ترتبـط بمعاني «العـزم، والمحافظـة، والإصلاح»[6]، وبذلك تبـدو أقرب إلى نسق سكـوني معياري، أخلاقي، فالقيـم من معانيها الاستقامـة والاعتدال، وهذا يتطلب أن تلتـزم بمسارٍ يتوافق عليه المجتمع بوصفها شيئاً ثميناً ما يحملنـا إلى الاعتقاد بـأن ثمة تمحوراً حـول الثّبات، ورفـض الخروج عن نسق معياري، توافق عليه « المجموع» – الجماعة – المجتمع – القوم – الأمة– القبيلة.

لقـد تعـرضت القيـم بتكوينهـا الأخلاقـي إلى عدّة تحـولات، فالعـالم قديمـاً كان منشغلاً بتفـسير الموجود المـادي إلى أن جـاء سقراط الـذي وجّـه الفلسفة وجهةً إنسانيـةً حيث كانـت القيم والأخلاق منثـورة في الحكم والأشعـار والأمثال[7]، غير أنهـا لم تتخذ طابعاً منهجياً إلّا علـى أيدي أفلاطون وأرسطو اللذين بحثا فيها بطابعٍ منهجـي، فـالأول نظر لهـا من منظـور الأثـر الوظيفي الأخلاقي كما في كتابه الجمهورية، في حين أن الثاني قد

(1) ينظر، http://www.dictionary.com/browse/axiology

(2) ينظر موسوعة ستانفورد الفلسفية:
Schroeder, Mark, «Value Theory», The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Fall 2016 Edition), Edward N. Zalta (ed.), URL = <https://plato.stanford.edu/archives/fall2016/entries/value-theory/>.

(3) https://en.oxforddictionaries.com/definition/axiology

(4) ينظر موسوعة ستانفورد على الرابط السابق.

(5) ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة «قوم»، ص 224-227.

(6) العوا، عادل، العمدة في فلسفة القيم، 1986، ص 35.

(7) رابوبرت، أ. س، مبادئ الفلسفة، ص 47.

اتخـذ موقفاً مناقـضاً تماماً حيث بدا أكـثر استجابة لما نعته ولم بليك بحزب الشّيطان [1].

يرى البعـض بأن القيـم بتكوينهـا الأخلاقي يتصل بتحقيـق السعادة، غـير أن هذا أثر مؤقـت، ولاسيما أن الفلسفة تنظـر لها من وجهة ارتباطهـا بالحق[2]. ولعل التّجـاذب في تحديد العامل المؤثـر في القيم، قد انعكس على آراء مدرستين فلسفيتين، فالرواقيون كانوا ينشدون ما رفضه سقراط من الاعتداد بالمأثور، والرأي العام إلى أهميـة إحـكام العقل والفضيلة، في حـين أن الأبيقوريين قـد ثمّنوا مبدأ اللذة (المسؤولـة) التي تنتج من السّكينة والـرّضا وتجـاوز اللـذة الوقتية [3]. لقـد احتدم الجدل مـع انتـشار الديـن ودعوته الأخلاقيـة، غـير أنّ مغالاة الكنيـسة في أوروبـا بالإعلاء من المظاهـر والأشكال قد دفـع إلى مغادرة هذا النهج نحـو تبني الأخلاق الحديثة التي تأسست علـى يد مارتن لوثر حيث جعلها أقرب إلى الواقعيـة، ولتعود مرة أخرى إلى الروح الفلسفية[4]. وفي العصر الحديـث نشطت دراسات كانط ونيشته وهيجل، وغيرهـم بغية اختبـار المجـال القيمي، في حـين استمر هذا البحـث في القطاعات الإنشائيـة المعاصرة في متون كل من جوليـا كرستيفا، وجوديث بتلر، ومارثا نوسباوم، وج هيلس ميلر، وبوجه خاص ضمن ما يعرف باتجاهات ما بعـد البنيوية وما بعد الحداثة[5]، وهـذا يقربنا أكثر من أثر القارئ (الإنـسان) في تقدير المقصد القيمي في النص أو الحياة تبعاً لتصوّره الخاص.

(1) هارفام، جيفري جالت، الأخلاق والنقد الأدبي، موسوعة كمبريدج القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، ص 537.
(2) ينظر رابوبرت، مبادئ الفلسفة، ص 48.
(3) ينظر المرجع نفسه، ص 49-50.
(4) ينظر المرجع نفسه، ص 51.
(5) ينظر
Shady E. Cosgrove, Literary ethics and the novel; or, can the novel save the world? University of Wollongong, 2007, p1.

لقـد بينا سابقاً بأن ثمة موجهـات ينهض به مجموع كلي، أو عقل جمعي، يتوافق على بعض القيم التي تتصل في معظمهـا بمنحى إنساني يتّـصل بالتّقدير لما هو قائم ومنجز، علاوة علـى ارتباطه بالشّرط الأخلاقي، فطلب العلـم بوصفه قيمة يتصل بنوعين من الأخلاق: الأخلاق المذمومـة، والأخـلاق المحمـودة كما يذكر الغـزالي[6]. وهكـذا تطفـو معـاني الثبـات علـى المحمـود، ومدافعة التحول عنه. ولكن ثمة أسئلة تتمحور حول نسبية المحمود والمذموم، ما ينقلنا إلى القيم الذّاتية والقيم الموضوعية، فالأولى تتـصل بمصالح الإنـسان وأهوائـه، في حين أن الثانية مطلقة تتعالى على الأهواء والمصلحة الشّخصية، أي أنهـا تتضمن قيمتها في باطنها، فلا تتبدل مع الزمان والمكان[7]. ولعل التّأمل في المعطيات السّابقة، يحملنا إلى التّسليم بهيمنة المعيارية والثبات على القيم المطلقة، وهو أمر تتوافق عليه أغلب المنظورات الفلسفية والاجتماعية، ولكن من الذي يقرر ذلك؟ هذا السؤال يقودنا إلى منحى جـدلي، فقيم كالقناعـة والعـدل، والأمانـة، والصدق، والتعاطف، والوطنية، وغيرهـا ربما تتعارض مع بعضها بعـضاً تبعاً للمنظور، ومن ذلـك «الحرية» التي تعدّ قيمة مقـدرة إنسانيـاً، ولكنهـا حـين تتـصل بمطالبـة المرأة بحريتهـا، وحقهـا بالعمل، أو الـزواج، أو الحـب، فإنها تتحـول إلى قيمـة سلبية مـن منظور بعـض المجتمعات، وذلـك لكونهـا تنتقص من الحيـاء، والحشمـة، أو ربما لأنها تنـال من ذكورية الرجل القائمـة على طاعة المرأة لزوجهـا، أو لقيـم مجتمعها، وهـذا ينسحب أيـضاً على تقدير المـوروث بوصفه قيمة ترتبـط بالهوية التي ينبغي ألا تتعـرض للانتهاك بفعل ممارسات الحداثة التي يرى البعـض بأنها الوسيلة المثلـى للنهوض بالمجتمع، وتحقيق التقـدم الحـضاري. ومع الإقرار بـأن ثمة قيمـاً مطلقة

(6) ينظر الغزالي، إحياء علوم الدين، ص8-9.
(7) ينظر الموسوعة العربية:
ttps://www.arab-ency.com/_/details.php?full=1&nid=1208

كالعدل بيد أن ذلك لا يعني عدم وجود قيم أداتية تتصل بالفرد ورغباته[1]، بحيث تتعارض مع قيم المجتمع، أو النسق الثقافي المهمين، ومنها الطموح (الأنثوي على سبيل المثال؛ وهكذا نستنتج بأن القيم نسبية مهما حاولنا أن نؤطرها كونها تخضع لسياق جيوثقافي.

هذا الجدل غير المنجز حول القيم دفع بعض الدارسين الغربيين إلى إحالة الأمر برمته إلى مبدأ الإلزام، أي بمعنى الاستجابة للقانون[2] بهدف الفصل بين هذه الاختلافات الجوهرية في تقييم القيم وارتباطها بالمسلك الأخلاقي الواجب اتباعه، ولكن هذا يبقى منظوراً غربياً، في حين أن الثقافة العربية تستند إلى منظومة قيمية شديدة التعقيد، كونها تحتفي بالموروث، والدّيني، والأعراف والتقليد والعادات، وهذا ما يجعلها ذات منحى معقّد، وبوجه خاص حينما تصطدم مع النزعات التجديدية التي طالت العقل العربي الأخلاقي، والتي يمكن أن تشكل خطراً على بعض القوى والسلطات التي تخشى القيم الجديدة القادرة على تقويض هيمنتها، ونزع بعض المصالح فما وجودنا وأنشطتنا – شئنا أم أبينا – سوى وجود قيمي أخلاقي[3]، فلا عجب أن تظهر سمات التنازع القيمي بين ممثلي هذه الاتجاهات تبعاً لتعدد التفسير الثقافي، وتكوينه.

ثانياً: القيم... تحدّيات الحداثة وما بعدها

بدأت مراجعة القيم وتموضعها في الأدب من الأربعينيات، وبوجه خاص حينما تحدث فرانك ليفيس عن «التقاليد العظيمة» داعياً إلى فلترة الأدب الإنجليزي من القيم الأخلاقية الثابتة لكونها لم تعد صالحة[4]، ولكن هذا اتخذ توجهات جديدة بعد شيوع ما بعد الحداثة التي سعت إلى هدم المنظومات الثقافية، وتفكيكها، ومع أن القصة القطرية لم تلجأ لمناقشة إشكاليات كبرى، أو إلى تقديم سرديات ذات طابع مركزي، إلا أنها تأثرت بالمناخ الكوني الساعي للتخلص من القيود القديمة، وفي الوقت عينه بدت شديدة الارتباط بالبيئة المحلية التي يعرفها الإنسان تمام المعرفة. القصة أقرب إلى خطاب مجتمعي بات يستشعر أفعالاً من الاغتراب نتيجة التّحولات التي يفرضها الزمن، وتحدث نوعاً من الفوضى التي تستوجب كتابة قيمية تلجأ لها المجتمعات بغية اكتناه المعضلة الأخلاقية التي تنتج بفعل افتقاد النظام[5]، وبوجه خاص مع العولمة الدّاعية إلى عالم متعدد الأبعاد، ولا سيما مع وجود وعي جمعي، أو متخيل ذهني مسكون بالمبدأ الأخلاقي.

على الرغم من أن قراءتنا الأركيولوجية، قد أنتجت كيانات من المعنى الناهض على « التثمين»، ولكن نتاجات ما بعد الحداثة قد قلبت هذه الظاهرة رأساً على عقب، فالقيم التي لطالما اعتنت بالجمال والخير، والأخلاق قد أصبحت تساوي بين القبح الجمال على حد سواء بوصفهما نتاج عالمنا الحقيقي، كما التحول الحتمي، فلا عجب إذن أن تحتفي متاحف الفن بالأشرطة اللاصقة، والقطط الميتة، والكراسي، والألوان السوداوية، وغير ذلك من متعلقات ما بعد الحداثة، فالمتحف لم يعد متحف الفنون الجميلة إنما متحف الفنون الحديثة، فتقدير القيم المطلقة بات من مخلفات الماضي.

يشار إلى أن الفلسفة تنهض على ثلاثة علوم هي: الوجود، والجمال، والقيم، وجميعها أمست مجالاً مرتبكاً مع التّحولات الناشئة التي صاغت الإنسان

(1) ينظر المكي، هشام، سؤال القيم في العلوم الاجتماعية في الحاجة إلى منهج جديد، في كتاب سؤال القيم بصيغ متعددة،، ص 28.

(2) ينظر جالت، جيفري، موسوعة كمبريدج، ص 535.

(3) ينظر

Form Of Moral Discourse English Literature Essay?cref=1%3E..» UK Essays. UKEssays.com, November 2013. Web. 27 January 2017. <https://www.ukessays.com/essays/english-literature/form-of-moral-discourse-english-literature-essay.php?cref=1%3E.?cref=1>.

(4) ينظر الرابط السابق.

(5) ينظر الرابط السابق.

المعاصر، وانطلاقاً من هذا التّغير تشكّلت نتاجات لترميم المنظومة القيميّة من التّلاشي عبر الخطاب، ولاسيما الأدبي الذي لطالما شابته النزعات الأخلاقية والوعظية، بل إن هنالك من يعدّ الأدب مشروعاً أخلاقياً بامتياز [1]، ولكن لوحظ أن الاستهلاك المبالغ فيه نحو تقدير القيم ربما يُخرج الأدب عن بعض الاشتراطات المعرفيّة والفنية التي تواضعت عليها الدّراسات الخاصة بالأدب (علم الجمال)، وبوجه خاص في تشكيل النص، وهذا ما يحيلنا بطريقة أو بأخرى إلى جزئية المواءمة بين المقاصد والنماذج الفنية التي تعدّ من أهم القضايا التي اختبرت في السّياقات النقدية، وقوامها التّعارض القائم بين الإمتاع والفائدة، بيد أن هذا المستوى يعدّ في المرتبة الأدنى ضمن توجهاتنا البحثية.

ثالثاً: الارتباك الحضاري

من أجل الوقوف على الموقف القيمي لا بد من اكتناه المعالجة المعرفية المتعلقة بمعنى الخطاب القيمي في القصة من منطلق أن الخطاب في النقد والدّرس الثقافيين، يعني الإحاطة بالظّروف والحيثيات التي تؤثر على إنتاج النص باختلاف تمظهراته، ومنها القصة التي تُعنى بشكل مباشر بالعوامل التي تصوغها، ومنها عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية، بالإضافة إلى عاملي القوة والسّلطة للتحقق من المعنى الاجتماعي، والقيمة المنوطة به[2]. المنشود في هذا السياق «النص» باعتباره فعلاً خطابياً ينطوي على بيان أو ممارسة اجتماعية، تحتفي بظواهر التّحول والتغير تبعاً لعوامل متعددة؛ ولهذا ينبغي اكتناه القصة القصيرة القطرية، وموقفها الخطابي المعلن تجاه هذا التغير في البنى الحضارية العميقة من منطلق أن القصة القطرية نتاج حضاري يتسم بتعالقه المستمر مع الظرف الذي أنتجه، حيث شهدت قطر منذ السّبعينيات أفعالاً من الإبداع القصصي الهادف إلى التعبير عن قلق مجتمعي ناشئ، أو ربما ذاتي- تعانيه الذات المبدعة نتيجة القيم الموروثة، وأثرها الثقافي- ولكن الموقف لم ينجز بعد، فالمجتمع لم يعد ذاك المجتمع المألوف، إنما هو نتاج عالم آخر. وإذا كانت المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية قد طغت على الكتابة القصصية، غير أنها بقيت فاعلة حتى يومنا هذا، فالمجتمع والتعبير ملازمتان، غير أن بينهما أمراً لا يبدو قابلاً للمساومة عليه، ونعني تغيّر القيم، أو تبدلها لارتباطها بخطاب متعالٍ (ديني – ثقافي – اجتماعي)، وهو ما يشكل المنظومة القيمية التي تشكل مظهراً يتصل بالهوية التي تتأسس على مكونات عميقة، لا يمكن القبول بتعرضها للانتهاك نتيجة الطارئ الثقافي الخارجي، أو نتيجة الاتصال بتعدد ثقافي عرقي لجماعات جلبت قيمها الخاصة، أو قامت بتصديرها، ولكن هذا يأتي بالتزامن مع إعادة النظر في بعض القيم (الداخلية) بوصفها قيماً تتصل ببعض ممارسات الهيمنة، والتّخلف، والكمون في الماضي، وبين هذا وذاك، نتج خطاب جدلي قصصي يتلمس هذه القيم (الخارجية والداخلية) في محاولة منه لتكريس النموذج الحكائي للتنبيه إلى هذه التّحولات، أو لنبذ بعض القيم الموروثة، والتي لا تستقيم مع التّصورات الجديدة لعالم منفتح يسعى إلى إطلاق طاقات الانفتاح الاقتصادي، والتّعليم، وحرية المرأة، وهذا بمجمله قد أفرز جدلاً حول المنظور القيمي ومعناه.

إن الاطلاع على القصص الممثلة لخطاب البدايات أو النموذج التأسيسي سيلحظ بأنها نتجت بفعل مسوغات قيمية جعلتها أقرب إلى الوعظ والإرشاد، أو لعلها كانت مشغولة بخطاب رثائي لقيم بدأت تنهار. فالتحول في أشكال المدينة، والانفتاح الاقتصادي

(1) ينظر جيفري جالت هارفام، موسوعة كمبريدج، ص 535.

(2) ينظر

Abrams M. H., A glossary of literacy terms, seventh ED, Thomson Press, India, P 53.

قـد أفـضى إلى مغـادرة بعض القيـم، ومنهـا منظومة قيـم الاستقامـة، والمسؤولية، وهي قيم تناقـض الرّغبة بالانفتـاح، وتكوين أنماط من الحيـاة، تعتمد مبدأ اللذة -كمـا يُعتقد- مما يبعث على خلـق عواقب نتيجة تفتيت العلاقات الاجتماعية الصّحيـة، أو الشّرعية، وهنا تبدو الإشكاليـة في قـراءة خارطـة هـذا التّحـول، وما يمكن أن تختـبره القصة التـي على ما يبدو قـد انشغلت بهذا الجانب، وهـذا يُعلل بكـون الثقافة المنتجـة، تستند إلى تـراث قيمي إسلامي شديد التّعمق، علاوة على منظومة مـن الأعـراف والتقاليـد الراسخـة التي تكمـن في بنية مجتمعيـة، تقدر النظـام القبلي، وتقدمه علـى ما سواه مـن الأنظمة المجتمعيـة الأخرى، زد على ذلـك الأثرين البيئي، والتاريخي لثقافـات الصّحراء والبادية، والبحر والتـي تفـرض نهجـاً ثابتاً للتعاطـي مع الـذّات والآخر، وهـذا مما يعني أن ثمة تزحزحـاً في التكوينات المرجعية التـي بـدأت تتعـرض لبعـض الانشقاقـات والاختلالات على مستـوى اتصال الأجيـال الجديدة بهـذه المنظومة المتماسكة.

لا شك بأن هنالـك خوفاً من القيم الطارئة، وعالمها المتعدد، ومن هنـا بالتحديد اضطـرت القصة القطرية إلى ولـوج هذا المخاض عبر اتجاهـات تتخذ من الخوف القيمي معالجة تتحدد بمحاولـة صون المنظومة القيمية من التلاشي نتيجة الارتياب بالقيم الجديد، مع محاولة تكريـس المنظومـة الموروثـة بوصفهـا نموذجـا هوياتيا مميزاً، في حـين أن هنالك تيار يسعى إلى تقويض بعض القيم التي لا تنهض علـى مرجعيات حقيقية، إنما ينظر لهـا علـى أنهـا نتاج مجتمـع قمعـي، سلطـوي يكمن في الماضي، ولكن هل ثمة مجال لخطاب متوازن؟

رابعاً: الارتياب الكامن

انشغلـت القـصة القطريـة منذ بواكيرهـا الأولى - سواء تلك التي خطها يوسف النعمة، أو إبراهيم المريخي، أو أحمـد عبـد الملـك- بتخطيط قيمي جعـل من النص مجـالاً للتنبيـه والتّحذيـر، وقوامه بأن المجتمـع المألوف بمـا يستند إليه مـن « قيم ثمينة» بـات مجالاً للاختراق والانتهـاك تبعـاً للانفتـاح، وتداعياتـه نتيجـة الوفـرة الاقتصادية، وبهذا فإن القصة القطرية قد بدأت معنيّة بالمنحـى المجتمعي القيمـي الظّاهر، ولكنـه أيديولوجي الباطـن. فالقصة القطريـة ذات طبيعة قلقة من فقدان المنظومـة القيميـة نتيجـة التّوجس من فـضاء الآخر... الخـارج، أو العالم الذي يقع خـارج الحدود، فنظرة إلى هـذه القصص يكشف عن منظـور ماضوي، ينهض على معيارية قيمية اتسمت بتوافق جمعي، فيوسف النعمة كان يُعنى بنقد التحول الأخلاقي للفرد نتيجة المفسدات التي تنتمـي إلى (الخارج)، فجـاءت قصصه معبرة عن هذا التسنين المباشر مـن حيث توصيف تداعيات التخلي عن القيـم، وما يمكن أن ينتـج عن ذلك من تداعيات كما في قصة «بنت الخليج» التي تصف مفاسد الطبقة الغنية في الربع الأخير من القرن العشرين، وهذا ما يكاد ينسحب على سائر قصص المجموعة[1]. في حين نجد أن قصص المريخي عالقة بالتكوين الماضوي بوصفه قيمة مثمنة عبر مقاومة التحول نحـو عالم متحرك، ففي قصة «الحنين» يعـود الأب « العجوز» إلى بيتة ليواقـع حنينه للبيت الذي يعنـي قيمة أصالـة يخشى من أن تتعـرض للخرق الممثل برغبة الأولاد في الخروج من البيت[2]، ولكن هذا المنحى المـاضوي القائـم على الرغبة بالارتـكان إلى عالم قيمي مألـوف، يظهر أيضاً في قصة أحمد عبد الملك التي يشي عنوانها بمنحاها المـاضوي « ذكرى لن تموت»[3]، والتي تستنـد إلى قـصة طفـل يظللـه الغياب بعـد أن تقطعت به سبـل الحياة بغيـاب الأم والأب، وهكـذا يلاحظ بأن ثمـة منحى رمزيـاً في هذه القصص ينهـض على تثمين

(1) ينظر حافظ، صبري، القصة القصيرة في قطر، ص 81.
(2) ينظر ملخص القصة في المصدر السابق، ص 103.
(3) ينظر المصدر نفسه، ص 717.

الماضي، ونبذ الخارجي (الحاضر- التغير- المستقبل) حيث يكمن في اللاوعي خوف من المجهول.

الناظر إلى خطاب الربع الأخير من القرن العشرين سيجد بأن الكتابة القيمية بدت معنية بالجوانب العاطفية المتصلة بالحب، أو الزواج، كما العلاقات غير المشروعة كالخيانة، والعبث- وبوجه خاص الذكوري- وما إلى ذلك من تمحور حول النسق الأخلاقي المهيمن على كتابات بعض القصاصين، وكأن ثمة منتجاً وعظيّاً ينذر بتداعيات الفساد الناتج عن الثراء المادي، والتنكر لقيم المؤسسة الأخلاقية (المجتمعية)، بما فيها الزواج (ثنائية الأنثى والذكر)، المكان، الموروث، ولهذا سنجد أن عديد القصص التي كتبها كل من المريخي، تستند إلى هذا النسق، ومنها على سبيل المثال قصص تتناول الزّواج من امرأة لعوب، أو افتقار بعض الكتاب إلى الأمانة الأدبية، علاوة على شيوع العقاب الإلهي نتيجة خطيئة كما يتضح في» قصة ندم». الندم عينه يتكرر في العديد من مجاميع القصص، ومنها على سبيل المثال قصة «نالت جزاء ما فعلت» لعائشة إبراهيم القاضي التي حيث تعاقب المرأة نتيجة زواجها من زوج قريبتها[1]، بالإضافة إلى قصة دلال خليفة « هذا الخميس» ضمن مجموعة « الخيل وفضاءات البنفسج»، وغيرها الكثير من القصص التي تتناول هذا المستوى[2].

لا شك بأن ثمة نقداً قيمياً، يشغل المريخي في قصصه، ويتوفر على تشكيلة من الخطابات التي تبدو أقرب إلى رسائل مباشرة للمتلقي، ففي إحدى مجموعات المريخي «المرود في المكحلة» عناية بالجانب القيمي، ومنها الحنين إلى الماضي، ونبذ الاستهتار العاطفي، كما هشاشة الحب، وشيوع أحلام اليقظة، وأخيراً مشاعر الندم نتيجة ارتكاب الخطايا[3]، ولعل هذا يأتي استجابة لخطاب قيمي بامتياز، ولكن هذا يبرر بنسق مجتمعي مرتاب، أو بنية مجتمعية بدأت تتشكل مع الخوف من شيء ينذر بالدمار القيمي. يستمر النسق عينه في مجموعة المريخي الأخرى « التجربة»[4] التي تبدو بياناً تعليمياً، يستهدف تلقين المراهقين بعض القيم عبر لغة أبوية بطريركية، ومنها تحذير الفتيات من الحب قبل الزواج كون هذه الممارسة نتاج مجتمعي «إعلامي» مفسد، ولاسيما مع الترويج لها عبر التلفاز، وغيره من وسائل الإعلام، وحتى الأدب.

في خطاب البدايات ثمة منحى يتلخص بنظرة ماضوية، أو تثمين الماضي باعتباره حافظاً لقيم العفّة والاستقامة، كما رفض لقيم التحول عن مبادئ وقيم دينية، بالإضافة إلى قيم تستند إلى مرجع هوياتي، كما ثمة خوف من المستقبل الغامض بوصفه فعل تهديد للمنهج القيمي، غير أن هذا المسلك لم يتوقف على الرّغم من التقادم الزمني، فما زالت ثمة كتابات معاصرة تنتهج النهج عينه، إذ يستمر مع مجموعة من الكتابات القصصية مجموعة أحمد عبد الملك «نوافذ على شرفة الروح» الصّادرة عام 2014[5]، فعلى الرّغم من حداثة الإصدار بيد أنه يشي بمزاج قيمي مختلط تبعاً لانعكاس الحاضر وتعقيداته، كما انفتاحه اللامحدود.

تنطوي «نوافذ» على إشكاليات قيمية أشبه بلوحات مشهديّة بسيطة للأزمة القيمية التي يعاني منها المجتمع بما في ذلك قيم الوفاء، والأمانة، والإخلاص، والعفة، والثقة، والحوار بين الزوجين، كما الثقافة العاطفية، وهي في معظمها تتصل بمؤسسة الزواج (الرجل والمرأة)، مع إشارات إلى الفساد في بعض العائلات نتيجة غياب

(1) ينظر حافظ، صبري، القصة القصيرة في قطر، ص 446.

(2) تهيمن هذه الثيمة على النتاج القصصي القطري بشكل كبير بحيث لا تكاد تخلو مجموعة من هذا التوصيف، ومنها قصص لكلثم جبر، ووداد الكواري، ومحمد الباكر، وشمة الكواري، ومحسن الهاجري، وحصة العوضي، غيرهم الكثير.

(3) ينظر توصيف القصص في حافظ، صبري، القصة القصيرة، ص103-109 .

(4) ينظر توصيف القصص في المصدر السابق، 1109-117.

(5) عبد الملك، أحمد، نوافذ على شرفة الروح.

الرقابة الأسرية في مجتمع انتشر فيه الخدم والسّائقون، مع قصص أخرى تتصل بقيم تطال الآخر، وإنسانية الإنسان، والوفاء للوطن، وقيماً حضارية أخرى متعددة، كل ما سبق يجعل من هذه المجموعة قيمية بامتياز، إذ ينتشر في المتن خطاب يثمّن القيم على حساب التكوين الحكائي بما ينطوي عليه من تعمق في بناء الشّخصيات التي بدت مسطّحة، وخاضعة للأثر الوظيفي، علاوة على التّدخلات المباشرة للسّارد بغية الشّرح والتّفسير، وهذا شكّل عامل ضغط نتيجة الرغبة بفتح المعنى، والاطمئنان إلى تلقي المقاصد والرسائل من قبل القارئ الذي نُزعت عنه الممارسة القرائية، وإنتاج المعنى، كما في قصص المريخي من قبل، وإن بدت قصص عبد الملك متقدمة عن خطاب البدايات نتيجة النّضج الفني، غير أنها لم تتخلص من الطّبيعة المباشرة التقريرية الوعظيّة، وهنا نسوق مثالاً على ذلك من نافذة رقم (1) التي تنفتح على حوار داخلي لمرأة تعاني من غياب زوجها عاطفياً، فتلجأ إلى التّعويض عبر إقامة علاقة آثمة مع السّائق حيث جاء في القصة « أطيل صلاتي داعية الله سبحانه وتعالى أن يغفر لي ذنوبي المتكررة! فأنا أقوم بأفعال لا يرضاها الله ولا عباده»[1]. لا شك بأن هذا التكوين الخطابي لا يبتعد كثيراً عن توصيفات النعمة (الموضوعية والفنية) التي تعود أكثر من ثلاثة عقود.

وعلى الرّغم من النزعة الأخلاقية غير أن ثمة بروزاً لإشكاليات قيمية تتصل بانغلاق الأفق تجاه قيم التطور والانفتاح، ولكنها عولجت بقدر غير قليل من التقريرية المباشرة حيث جاء في إحدى القصص: «لا يشاهد أبي ماذا يدور في هذا العالم! وكيف أن الأحوال قد تطورت... والعادات والتقاليد البالية ما عادت تصلح لهذا العصر الذي يؤمن بالحريات والانطلاق وحق الجميع في الحياة كيفما يشاؤون[2]». ومع أن هذه القصة داعية إلى قيم التطور والانفتاح، ولكنها لا تعدّ اتجاهاً قياساً على كم القصص التي تنتهج الدّعوة إلى قيم أخلاقية، وخطاب توعوي، فثمة إشارات إلى تداعيات الانفتاح، ولاسيما مع انتشار قيم الاستهلاك وسائل التواصل والتقنيات الحديثة كالهاتف المتنقل والشّبكة العنكبوتية، وأثرها على الفرد، والمجتمع، كما في العديد من القصص، ومنها نافذة رقم (8) بتكوينها الدلالي المباشر إلى حد ما: «كبرت ولا أعلم نظريات كثيرة في الحياة. وسيطرت علي النظرية الاستهلاكية، فأصبحت لا أحفل بكل ما يحتاجه المنزل من صيانة... أو تبديل أجهزة...»[3]. وهكذا يُلاحظ بأن ثمة استكمال لنهج النعمة والمريخي، ولكن ثمة أيضاً مزاج جديد بدأ يظهر تجاه بعض القيم الجديدة، ولكن بدا منحسراً، وضيق الحدود.

في نموذج متوسط زمنياً يبدو محسن الهاجري في مجموعاته الثلاث «البلاغ» 1996، و«بنات إبليس» 1997، و«حرام عليك» 1998 محتفياً – هو الآخر– بمنحى قيمي بوصفه نتاج مجتمعي لمواجهة تداعيات الانفتاح والثراء، كما القلق من فقدان القيم، ومع أنه يبدو خطاباً لا يلتزم نزعة ماضوية واضحة، ولكن بين ثنايا القصص هنالك انتشار لخطاب قيمي موجه، ومن ذلك القصة الأولى من المجموعة الأولى، ونعني قصة» امرأة سافرة»[4] التي تندرج في خانة تلاشي القيم، كما ثمة تمحور واضح – شأنه في ذلك شأن– معظم الكتابات القصصية على تمثيل افتقاد قيم المسؤولية من قبل بعض أرباب الأسر، ولاسيما الغارقين بمتع معاقرة

(1) ينظر المصدر السابق، ص 9.

(2) تتناول القصة سيطرة الأب وقمعيته تجاه أفراد عائلته، والتحكم بهم كأنهم «روبوتات» كما جاء على لسان السارد، وهي فتاة في الثلاثين من العمر تعاني من رفض الأب لزواجها من رجل فقير، وهنا يلاحظ أن القصص تنطوي على قيم افتقاد قيم الحوار والانفتاح، علاوة القصور في فهم الجانب الإنساني للعلاقات البشرية المحكومة بمنظومة قيمية بالية يمارسها الأب. ينظر القصة في: عبد الملك، أحمد، المصدر السابق، ص 24.

(3) المصدر نفسه، ص 21.

(4) ينظر الهاجري محسن، البلاغ وقصص أخرى، ص 23.

الخمر كما في قصة «بقايا أم»[1]، ومع ذلك فإن هذا لم يمنع من نقد قيمة ماضوية، ومنها كراهية المولد حينما يأتي أنثى بوصفه قيمة تنتمي إلى عصر بائد كما في قصة «أنثى»[2]، ولكن هذا النقد لا يمكن أن يعدّ نسقاً تقويضياً كونه يفتقد إلى التوجه الكمي، ولكونه يستجيب مع ممارسات لا تتطلب انتهاك منظومة مجتمعية سلطوية، في حين يلاحظ بأن شخصيات الهاجري تبدو خاضعة لمبدأ قيمي كما في قصة «أسرار منتحر» ذلك الرجل الذي مارس غزوات لا أخلاقية في دول أوروبا فيأتي الانتحار وسيلة للتخلص من تأنيب الضمير، في حين أن قصة الراقصة «حلال» تتخذ توجيهاً مغايراً، فالراقصة طورت قناعاتها بأن الرقص فن حلال، ومع التّطور الحاصل عملت على تعديل نهجها لتصبح صاحبة محطة فضائية ولكن بملابس محتشمة[3]. فالتّحول طال الظاهر، في حين أن الجوهر لم يتغير، وهذا يعني بأن الخروج عن القيم سينتج ذوات مشوّهة. ومع أن قصص الهاجري قد بدت ناضجة فنياً – إلى حد ما– غير أنها لم تنطوِ على بنية محكمة التكوين من حيث تحميل اللغة قدراً من الدلالات الواجب توليدها من قبل القارئ، فهي مباشرة المقصدية والدلالة حيث يسعى الهاجري إلى خطاب قيمي أخلاقي يمزج بين محاولة تكريس قيماً إيجابية، ونبذ قيماً سلبية تنتهج في مجملها خطاباً اجتماعياً، ولكنه لا يمارس تحدياً واضحاً لمنظومة مجتمعية سائدة، أو محاولة تقويض منظومة قيمية كالنظام القبلي، أو السياسي، أو التسامح نتيجة شق عصا الطاعة من لدن الأنثى، فهو لا يغادر نهج الإتيان على بيان القيم الطارئة، كالخيانة، والفساد الأخلاقي، وغيرها كما مثلتها قصص البدايات (نعمة– المريخي– عبد الملك)، ولاسيما ضمن المنظور الاجتماعي الأسري، أو الذاتي الفردي، وإن بدت لمحات ذات طابع فلسفي إلى حد ما في بعض قصصه، فضلاً لمحات انتقاد لبعض القيم الماضوية السّلبية، ومحاولة خرقها، ولكنها لم تبدو صريحة التّكوين من حيث الانتظام والتناوب، وبذلك فإن خطابه ما زال يندرج ضمن خطاب قيمي مؤسساتي اجتماعي محافظ.

تأتي مجموعة «وجوه متشابهة» لخليفة هزاع أقرب إلى نسق تكميلي – إلى حد ما – لخطاب البدايات من حيث عنايتها بالتّحذير من التّخلي عن منظومة قيمية، وأن بدا في بعض الأحيان مشغولاً بقيم كبرى، تعني بنبذ تهمة الإرهاب، ومقاومة التمثيلات الغربية التي تطال العربي المسلم، وبهذا فإنه يقع ضمن تنازع قيمي يتصل بالآخر والذات، ولكن هذا لا يعد ظاهرة يعول عليها، فهي أقرب إلى شذرات خطابية لا تستند إلى منظومة خطابية، وأطقم من المعالجة التي تعنى ببلاغة الخطاب التي تستند إلى التكرار والتناوب والتنظيم. في قصص خليفة هزاع منظور خاص تجاه القيم في عالم متحوّل كما تمثلها قصة «حب عصري» التي تعالج ظاهرة الحب الافتراضي الرّقمي التي تنهض على مركزية لا واقعيتها، ومخالفتها للمتوقع، ولا سيما حين يرى صورة من اعتقد أنها امرأة فاتنة حيث يُصاب بخيبة الأمل[4]، وهذا يعني بأن هنالك نقد لظاهرة المعاصرة، ومخاتلتها. وفي قصة «حوار مع مخمور» نقع على نهج قيمي بدأه النعمة، وغيره من حيث انتقاد رب الأسرة المتخلي عن أسرته، والغارق بمعاقرة الخمر، وممارسة الجنس في بلد أجنبي[5]، بالإضافة إلى الزّواج من امرأة أجنبية، وغزوات بعض الرّجال الشّرقيين إلى دول شرق آسيا، كما الخيانة الزوجية.

في السّياق القيمي التحذيري تأتي قصص جمال

(1) ينظر المصدر نفسه، ص 37.
(2) ينظر المصدر نفسه، ص 69.
(3) ينظر المصدر نفسه، ص 47-54.
(4) هزاع، خليفة، وجوه متشابهة، ص52.
(5) ينظر هزاع، خليفة، وجوه متشابهة، ص 69.

فايز النّاهضة على نزعة ماضويّة حاملة لقيم في طور الانقراض، ومع أن فايز ينتمي إلى جيل الكتابة المعاصرة زمنياً، غير أنه ما زال يستند إلى خطاب ماضوي، إذ يقدّر القيم باعتبارها موروثاً؛ ولهذا ما انفك يواظب على نقد الحداثة، ومهلكاتها، كما التنديد السّردي بافتقاد المجتمع لقيم شكلت المكان والإنسان اللذين لم تلوثهما القيم الصناعية والنزعات الرّأسمالية، فلا جرم أن كثيراً من قصصه تتوافق مع القصص التي تنتمي إلى مرحلة البدايات من حيث التعالق الحاصل بين (المكان- الزمان) ومرجعياتهما القيمية.

في مجموعة «الرقص على حافة الجرح» مفتتح قصصي شديد التّعلق بالخطاب القيمي الذي ينهض على دعامتين: الأولى نقد مظاهر التجديد الناتجة بفعل الثروة النفطية التي أحدثت تبدلاً قيمياً لم ينل فقط من بنية المكان، إنما أصاب البنية الداخلية للذات البشرية التي تغيرت بفعل التّحول المادي الذي يتطلب صون القيم بوصفها الدعامة الثانية. فالقصة تبدأ بغيمة تعبر المدينة، ومن ثم سقوط المطر، وسرعان ما تتحول البيوت إلى قصور للدلالة على التّبدل المادي الظاهري، ولكنه سرعان ما ينتقل إلى البعد الداخلي في الفقرة الثانية من القصة - التي تتميز بالتكثيف والإيجاز- وفيها نقرأ كيف ينازع شاب رجلاً عجوزاً الدخول إلى الطبيب بحجة أن دوره أسبق، وفي الفقرة الثالثة، نقرأ عن خادمة تحضر طفلاً مصاباً، في حين أن الأم تطمئن على ابنها المتوفى من خلال الهاتف [1]. تختزل هذه القصة موقفاً واضحاً من تحول القيم، ويتحدد بنبذ المعاصرة التي تحتفي بالظواهر، والأنانية، وفقدان قيم احترام الكبير، والأمومة، ومع أن ثمة قراءة أخرى تذهب إلى بيان قيم نتجت بفعل المعاصرة، كتقدير النظام، والحق، علاوة على الجمال المعاصر للمعمار الجديد غير أن ما يعنينا الموقف من تقدير القيم التي فقدت بوصفها مثمّنة، ولكن تبعاً للمنظور الماضوي، ولعل هذا ينسحب على الكثير من قصص هذه المجموعة، وغيرها من التي تحتفي بقيم «الأسرة- البر بالوالدين (قصة فحيح العاصفة وقصة حطام المسافات البعيدة) -الحشمة (قصة شرنقة)- العطف على المسكين (قصة تابوت من لحم).

ومن النماذج التي يمكن أن تصدق على الارتياب القيمي قصة «فحيح العاصفة»[2] التي تعنى بتصوير تقابلي ينهض على مشهد يظهر فيه (قط) يحنو على وليده، مقابل ابن يتنكر إلى أبيه الذي يعامله كمتسول. وفي قصة أخرى بعنوان «شرنقة» ثمة طائرة ركابها بعض الأجانب الذي يرتدون ملابس شبه عارية، باستثناء امرأة ترتدي رداء أسود، ولكن عند وصولهم إلى البلد البارد يسارع الكل إلى ارتداء ملابسه اتقاء البرد إلا المرأة التي تخرج من الطائرة شبه عارية [3]. وهنا نتمثل نسقا تقابلياً لنقد تسرب بعض القيم المثمنة، ولكن في المقابل هنالك منظور آخر، ينهض على التّوق للحرية، ونبذ القيود مجسّداً بفعل المرأة مما يعني نسبية التموضع القيمي في قراءة أخرى للنص.

في مجموعة أخرى «الرحيل والميلاد»[4] يحتفي فايز بقيم الأصالة الممثلة برموز البيت التراثي كما في قصة «دويبات البيت الخشبي» بالإضافة إلى تقدير مهنة الغوص (قصة ما تبقى من شظايا المحار)، غير أنه لا يقصد البيت بوصفها قيمة موروثة، إنما بوصفه مؤسسة حاضنة لأفراد الأسرة حيث تسود قيم المحبة والتكافل التي تخلى الجميع عنها، بالإضافة إلى عدد

(1) ينظر فايز، جمال، الرقص على حافة الجرح، ص 7-8.

(2) ينظر فايز، جمال، المصدر نفسه، ص 13.

(3) ينظر المصدر نفسه، ص 27.

(4) ينظر فايز، جمال، الرحيل والميلاد.

من القيم ذات النزعة الماضوية ذات الطبيعة الأخلاقية، وهـذا يحملها للتوافق مع قـصص المريخي، كما يصدق هذا أيـضاً على مجموعة حسن رشيـد «الحضن البارد» حيـث تبرز الجدة بدلالتهـا الرمزية التي تحيل إلى زمن أجمل حيث كانت تسود قيم العطف والمحبة، وهذا يتوافق مع قصة «كاتب العرائض»[1]، وغيرها من قصصه التي تبدو منحازة إلى انتقاء عينات إنسانية يتنكر الزمن لها، فضلاً عن تبـدل أحوال العصر، فقـصص حسن رشيد ذات نبرة رثائية تطال الماضي بشكل جلي، وهنا نستشعر موقفـاً قيمياً من المعـاصرة، وقيم التّحديـث على تغيير نفوس البشر في العديد من القصص، منها قصة محمد الباكـر حيث التنكر لـلأم في قصة « مـرارة الندم»[2]، وكما في قصة أمينة العمادي «الشمس الباردة»[3]، وكما في قصة «معـوق» لشمة الكواري[4]، في حين أن مجموعة فاطمـة خلفان الكـواري تنطـوي على نسق تكـرس قيم المـوروث، والتكافـل الأسري، وتصويـر المـاضي بوصفه قيمـة إنسانية تنهض على الود والمحبة، وهذا يكاد يشكل كمـاً كبـيراً من المجموعـات التـي تعالج افتقـاد الطابع التكافلـي السّائد بـين أفـراد الأسرة استجابة إلى نزعة قوامهـا تثمـين قيـم المجتمع القطـري قبل هبـوب رياح التغيـير والعولمة مما يعني بأن ثمـة شبه توافق على هذا النهج الخطابي.

من ناحية فنية، يُلاحظ بأن عدداً كبيراً من القصص تتسم بقدر كبير من المباشرة والطّبيعة التوجيهية نتيجة تقديـر القيم ذات الطابع المـاضوي المجتمعي حيث تبدو الحبكـة والأحـداث والشّخصيـات ذات طابـع وصفي، تفتقـد إلى التّطـور، أو الـصّراع، فـضلاً عـن شيوع لغة مبـاشرة وتقريرية باستثناء بعض قـصص جمال فايز،

(1) ينظر حافظ، صبري، القصة القصيرة، ص 216.
(2) ينظر المصدر نفسه، ص 193.
(3) ينظر المصدر نفسه، ص 366.
(4) ينظر المصدر نفسه، ص 211.

وعـدد قليل من القصص تتكئ على بنى رمزية، ولكن في المجمل، فإن هذه القصص تعتمد خطاباً ملتزماً بتقدير القيم «الماضوية الأخلاقية» مـع شيء من الارتياب تجاه القيـم الجديدة التي برز بعضها في بعض الأحيان ضمن دعوات متوازنة، وتقليدية.

خامساً: الانتهاك القيمي

في المحور السابق، توصلنا إلى هيمنة النموذج القيمي علـى القـصة القطريـة من خـلال نماذج تمثـل مرحلة البدايـات إلى اللحظـة الراهنة، ولوحظ بأنـه ليس ثمة تحول عن النهج الداعي إلى القيم، والتحذير من تبددها نتيجـة الطـارئ الحداثي الـذي انطلق مـن السبعينيات إلى يومنـا هـذا، ولكن هـذا النهج ذو الطبيعـة المنتقدة لمسالك سلبيـة وبنهجه الأخلاقي أيضاً، بدا مرتبطا إلى حـد ما بكتابة ذكورية ماضويـة، ترتبط بقيم مؤسساتية تسعـى إلى الإبقاء على نموذج أخلاقـي، أو للإبقاء على سلطـة مجتمعيـة، وإن ظهر في بعـض الأحيـان نزعات تستهـدف قيم التنوير العقلاني، ولكـن دون بيان واضح بـضرورة تفكيـك المنظومـة القيمية، والثـورة عليها. في مـوازاة هذا الخطاب ثمة خطـاب آخر يهدف إلى تبديد أو بعبـارة أخرى تعديـل المنظومة القيميـة، أو تحديثها، ولا سيمـا المتصلـة بقيم سلطوية تنال مـن قيم الحرية، والذاتيـة أو الفرديـة، ومنها علـى سبيل المثـال التقدير المبالغ للصدمة من تحولات المجتمع، ومنها قصص كلثم جـبر التي جـاءت محاولة مبكرة للتعبير عـن قيم ذاتية أو أداتية تعالج الذات الأنثوية التي تخضع لمنظومة قيمية مجتمعية تتعارض وتوجهات المرأة.

في قـصص كلثم جـبر هنالك المـرأة التي اختبرت مغادرة الوطن لدواعي الـدراسة، ولكنها أدركت الحنين لرمزية الصفاء والنقـاء بوصفها قيماً إيجابية تكمن في الوطن كما في مجموعـة وجع امرأة عربية[5]، مما يعني

(5) ينظر توصيف القصص في حافظ، صبري، القصة القصيرة، ص 93-100.

نزعة ماضوية، ومع ذلك فإن خطابها بالمجمل يشي بنسق متقدم من حيث القلق والارتباك القيمي الذي شغل القصة القطرية كما نعاين في مجموعتها الأولى «غابة الصمت والتردد»، وهذا ما ينقلنا إلى موقف بيني على الرغم من أن مجموعتها تنتمي إلى زمن مبكر إلى حد ما، ولكن موقفها من القيم لم يرق صراحة إلى مستوى التحول نحو الحركي، ومغادرة الثبات، أو السّكون، ثمة شيء من الاحتجاج الخفي، كون الاحتجاج المباشر سيعني خرقا للقيم السّائدة التي تنتشر في المجتمع، فلا جرم أن تحمل مجموعتها عناوين الصمت التردد بوصفها عتبة سيمولوجية تكمن في اللاوعي، في حين أن الغابة تحيل إلى دلالة كمية تشي بتأصّل الصمت، ولكن التردد يعني بأن ثمة علامات لمغادرة السكون، والثبات.

في قصتها المركزية التي حملت المجموعة عنوانها نقرأ علاقة حب لا تكتمل، يحجبها تردد الرجل وصمته، ولكن هذه القصة على الرّغم من تكوينها العاطفي المباشر، غير أنها تحيلنا إلى أثر لا مباشر للموقف من القيم، فالعلاقة التي نشأت بين المرأة والرجل تمتلئ بمساحات من المسكوت عنه، فالدلالة المباشرة للقصة تتقصى خطاباً ناقداً للرجل الذي يغرق في التردد، وعدم البوح، وهذا يحيلنا إلى أثر قيمي مباشر معني بالحب، ولكنها قيمة محجوبة في جغرافية بلاد «الشمس» كما تكني عنها الكاتبة. هذه العلاقة تنشأ في بلاد الاغتراب، في الطارئ المؤقت، خارج الوطن الذي لا ينطوي على قيم كامنة: «أحبك رغما عني... سوف أهزم النظرات المتعالية...وأحبك رغما عنهم...وسأقترن بك... رغما عنهم....»[1]. ولكن هذا يأتي بالتزامن مع تردد الرجل في الإفصاح عن مشاعره تبعاً لسلطة المجتمع الرافض لهذا النهج. لقد مارست القصة خرقاً خفياً، أو لنقل نقدا للقيم السائدة التي تنظر إلى الحب بوصفه ضعفاً على الرغم من الاعتذار المتأخر، وغير الفاعل الذي جاء من لدن الرجل المنصاع إلى قيم مجتمعه، ففي موقع آخر من القصة تعلن المرأة صدمتها تجاه موقف الرجل السلبي التابع لقيم مجتمعه وبوجه خاص عندما عاد للوطن حيث تقول: «ولكن بعد طول انتظار صدمت بك أنت لا هم، إن نظراتهم المتعالية تحولت استهزاء وهم يرونك متردد الأحاسيس خائفا من المواجهة»[2].

في هذه المجموعة مفصل هام، يتمثل بالتحول، أو الخروج عن المنحى القيمي أو الماضوي، وقد جاء على يد كاتبة أحدثت أولى الشّقوق في جدار الخطاب القيمي الذي أسهم معظم الكتاب، ولاسيما الذّكور في محاولة تكريسه، وصون مكتسباته، وهنا أعمل على تقديم نتائج مبكرة للدراسة، ولكن هنالك نماذج متعددة يمكن أن تؤكّد هذا الطابع للكتابة الأنثوية – المتذمّرة التي عملت على تحديد موقفها القيمي، وإن كنا لا نطلق مجالاً من التّعميمات بأن كل الكاتبات يحتفين بهذا المنظور، ولا كل الكتاب الذّكور ينتمون إلى النهج المغاير، ولكننا نعتمد على قراءة تستند إلى المهمين في المنظور الإبداعي تجاه المنظومة القيمية.

في مجموعة نوره ال سعد «بائع الجرائد» التي تنتمي إلى جزءٍ منها إلى خطاب تقويضي للقيم التقليدية، كونها تستهدف إنتاج قيم جديدة ذات طبيعة كونية، أو إنسانية تتحدد بالالتفات إلى الآخر الذي يتمثل ببائع الجرائد، فثمة هنا تعاطف مع الآخر، وعدم الخوف منه لكونه ينتمي إلى مجال التأثير سلبي، كما نجد في العديد المجموعات التي غالباً ما تحيل تهالك المنظومة القيمية لعوامل خارجية، فمعظم الكتابة القصصية «الذكورية» أو الماضوية لم تلتفت إلى الآخر الأدنى اجتماعياً أو مختلف عرقياً، فهو لا مرئي، كما ثمة تمثيلات سلبية تطال فئة السّائق أو الخادمة في قصص

(1) جبر، كلثم، أنت غابة الصمت والتردد، ص 118.

(2) المصدر نفسه، ص 118.

أحمد عبد الملك، أي تلك الكتابات المهمومة بتوصيف انهيار المنظومة القيمية داخل الأسرة، ولاسيما من حيث انتشار الخيانة الزوجية، والعلاقات المحرمة.

تستند كتابة نوره ال سعد إلى نزعة قيمية تتضح نواياها من عتبة العناوين: «بائع الجرائد» و «بارانويا»، وفيهما نقرأ خطاباً جديداً تجاه المنظومة القيمية في المجتمع، ولكن ينبغي تأمل ذلك من خلال رصد التغير في المنظور بين مجموعة صدرت عام 1989، ومجموعة صدرت عام 2013. في الأولى دعوة إلى قيم التعاطف مع الآخر كما في قصة بائع الجرائد[1]، ولكن هذا النهج يستكمل في القصة الثانية «المزرعة الكبيرة» التي تتوافق قيمياً مع القصة الأولى من حيث شيوع قيمة التعاطف الإنساني مع الآخر...الفقير، أو الأقل حظاً، ذلك المختلف في التقييم الطّبقي، ونعني شخصية «بوصفيه» السّائق الذي يقوم بالعديد من المهمات للمدير، وخاصة حين يأخذ «بوصفيه» ابنته إلى مزرعة المدير، وهناك يتلقى رفسة حمار نيابة عن ابن المدير أمام ابنته[2]. ثمة تخطيط قيمي ينحاز إلى الأدنى، أو إلى نموذج العامل البسيط، او بالآخر، إذ يستمر هذا النسق أيضاً في قصة «زهرة البلوشية»، و«رجب الشّيّال» لتبرز قيم إنسانية لا تستند إلى محلية المنظور الأخلاقي السائد.

ولعل الاتجاه القيمي للبحث في التباين الطبقي يبرز لدى دلال خليفة، ففي قصة بعنوان «الكائن» ثمة تمثيل للاختلاف بين مجموعتين، هما «أهالي الغابة» و «راكبي الهليكوبتر»[3]، وكلا المجموعتين كناية عن فئتين طبقيتين، كما ثمة قصص للكاتبة عينها، إذ تستعين بالنسق الكنائي والاستعاري بوصفها «تقية» خطابية عند مناقشة القيم التي تحاصر أنثوية الأنثى، والآخر المختلف (الذّكر) كما في قصة «أنا الياسمينة البيضاء»، «ولنفسها صنعت غابة»[4]، وكما في قصة «دب من الفراء الأزرق» التي تصور امرأة أرملة يتعلق ابنها بدب – رجل يتنكر بهذا الزي للترويح عن الأطفال– في حين تتعلق المرأة بالرجل الذي بداخله، ولكنه حين يقرر التّخلي عن زيه التنكر تنفر المرأة تبعاً لضغط المنظور القيمي المجتمعي تجاه المرأة الأرملة[5]. ولعل هذا التّوجه ينسحب على قصص هدى النعيمي، ومن قبلها أم أكثم، وسارة، وغيرهن من الكاتبات.

لا شك بأن هذا النهج الخطابي يستند إلى مخالفة للنهج الماضوي، فثمة اتّساع نحو مغادرة القيم المحلية، وهذا يتضح أيضاً في عدد من قصص جمال فايز التي تنحاز إلى تقدير المختلف في بعض قصصه، وإن بدت هذه النزعة غير سائدة على عكس هيمنة النزعة الماضوية الرافضة للتبدل. وهكذا، نلاحظ بأن ثمة تحولاً نحو قيم إنسانية في الخطاب القصصي القطري، ولكنها تبدو مترددة، أو بعبارة أخرى، لا يمكن أن تشي بوجود خطاب متماسك تنتظم وحداته بهدف خلق بنية من الممارسة الاجتماعية التي تنتقل من اللغة إلى الفعل.

في مجموعة «بارانويا» لنوره ال سعد نقع على تحوّل مفصلي تجاه المنظومة القيمية التي بدأت كلثم جبر بوضع أحدثت أولى الشّقوق في جدرانها، بيد أن نوره ال سّعد تبدو مختلفة من حيث معالجة القيم، فهي تختلف في المنظور عن (الهاجري والمريخي وعبد الملك وفايز وغيرهم)، كونها لا تسعى هنا إلى محاولة صون منظومة قيمية أخلاقية ضيقة، تتصل بالفرد والعلاقة الزوجية، أو الأسرة وما يلتصق بها من الاستهتار والخروج عن القيم الدينية، بل هي أقرب إلى تبني مقولة نقد التحولات التي أنتجتها مجتمعات العولمة، وهيمنتها المادية على

(1) ينظر ال سعد، نوره، بائع الجرائد، ص 3-9.
(2) ينظر المصدر نفسه، ص 19.
(3) ينظر خليفة، دلال، أنا الياسمينة البيضاء، ص 95-104.
(4) ينظر القصتان في المصدر نفسه، ص9 – ص23.
(5) ينظر خليفة، دلال، دب من الفراء الأزرق، مجلة الدوحة، ص 60-63.

الإنسان «المطلق» كما في قصة بارانويا عبر شخصية «وضحى» المرأة التي تواجه قيماً سلبية فاسدة، تبدأ من العمل الذي ينخره الفساد الأخلاقي، والوظيفي حيث ثمة علاقة مع المدير وإحدى الموظفات، في حين ينتقل هذا التردي إلى مستوى علاقتها مع الزوج أيضاً[1]، وعلى الرّغم من وجود نقد قيمي أخلاقي، ولكنه ليس ذاتي النزعة، إنما مجتمعي كما في سائر قصص المجموعة، ومنها قصة «حمدة في التنور» التي تتناول قيم مختلطة غير سوية لعلاقة بين طالبة ومعلمة ما يحيل إلى قلق قيمي واضح في التكوين الإنساني المحاط بعوامل قهر داخلي، لا خارجي فقط، وهذا يستمر أيضاً من خلال قصة «القليصة» التي يحيطها واقع يغتال الأنثى، أو لوجودها القائم على اختلافها الجندري بوصفها أنثى، فواقعها يبدأ من أسرتها، ويمتد مع طارق الشّاب الذي اعتقدت بأنها ستجد لديه التقدير والحب، غير أنه هذه العلاقات هشّة، لا تستجيب لنهج قيمي منفتح صحي، وهذا ينسحب على الحياة السّرية كما في «الحياة السرية للفراشة» التي تعالج قصة فتاتين صديقتين، وخلف تكوينهما ثمة نقد للانهيار القيمي للمجتمع بما فيه من تزلّف ووهم، وقيود يطال الأسرة والمجتمع برمته، وهكذا فثمة تكوين مباشر لنبرة الخطاب الانتقادي لقيم زائفة، وهذا ينسحب على زيف المثقفين، كما تمثله قصة «صالون المثقفة سعفة». إن تكوين خطاب نوره ال سعد يستند إلى استراتيجيتين: الأولى تعكسها المجموعة الأولى، وتنهض على قيم التعاطف الإنساني، والانحياز للآخر، أو الأدنى، أو المختلف، في حين أن المجموعة الثانية بدت ناضجة كونها تستهدف تحليل النسق القيمي لمجتمع اكتملت حلقات تحوله ما أنتج ممارسات قيمية مشوّهة، فضلاً عن محاولة انتقاد قيم موروثة سلبية ذات طابع سلطوي.

لا شك بأن شخوص نوره ال سعد الأنثوية، كما شخوص كلثم جبر، تمثل أولى النماذج الخطابية التي تبلور لموقف قيمي جديد، ينهض على شيوع قيم جديدة، مع محاولة بيان هشاشة القيم السائدة التي ترتبط عضويا بقيم سلطوية يقودها الرجل والمجتمع، وبذلك فالنقد غدا داخلياً لا خارجياً على عكس خطاب البدايات.

تقف حصة العوضي في تفكيك القيم الموروثة «السلبي منها» قريباً من مساعي نوره ال سعد وكلثم جبر من حيث السّعي لانتهاك بعض القيم القديمة، وتقويضها، ولاسيما تلك التي تخلو من تقدير الذات والحرية، وهي بذلك تنهض بكتابة مضادة للنهج المغرق بتقدير قيم الماضي، وهذا يتضح من قصتها «القرية الصغيرة تخلع ثوب الحداد» القائمة على ثنائية الملا ومعلم المدرسة، حيث يحيل الأول إلى القسوة والتقليدية، والقمع (الماضي)، في حين أن الثاني يحيل إلى التطور والانفتاح (المستقبل)، وبذلك فثمة منظور متغاير عن تلك النزعة التي سادت لدى بعض الكتاب من حيث تقدير الماضي، وقيمه، وعلى ما يبدو فإن موقف العوضي واضح من حيث رفض الموروث القيمي الممثل بالتقليدية، ورمزه الملا. وفي قصة أخرى يبدو البعد الرّمزي «الكنائي» من خلال البيت الذي يرفض أبو جاسم طلب زوجته بتجديده على الرغم من أن جميع البيوت قد تعرضت للتجديد مما يؤدي إلى سقوط البيت [2]، وهنا تبدو ملامح تنازع بين قيم يثمنها على سبيل المثال جمال فايز، والهاجري، في حين أن العوضي تنتقص منها، كونها تنطوي على نتائج تتسم بالرجعية، والقهر، ورفض التقدم إلى الأمام كما تعبر عنه مجموعتها « عيون لا تعرف الغفران» التي تتأسس على نبذ قيم سلبية، ومنها على سبيل المثال قصة «القناع» الذي يؤول بالتظاهر، أو إخفاء المشاعر، والنقاب، ولعلها تعني قيم التستر خلف وجوه تدعي غير حقيقتها[3]، فضلاً عن قصص أخرى تتصل بنبذ

(1) ينظر ال سعد، نوره، بارانويا، ص 7-14.

(2) حافظ، صبري، القصة القصيرة، ص 388.

(3) ينظر أبو شهاب، رامي، الأنساق الثقافية في القصة القطرية، ص 32.

الموروث القيمي المتصل بعادات وتقاليد لا تمت بصلة للدين، ومنها حرمان المطلقة من الزواج كما في قصة «عيون لا تعرف الغفران»، بالإضافة إلى قصص تتوافق، وهذا النهج لكل من دلال خليفة، وهدى النعيمي، وبشرى صالح، وغيرهن من اللواتي يناهضن قيماً تقمع المرأة بوصفها تنتهك أعراف المجتمع وقيمه من حيث ثنائية الخطيئة والتّسامح، فتبدو أفعال القبول مجالاً لاستعادة قيم الاستقامة من خلال قصة حصة العوضي « نسخة من المصحف الشريف» التي نهضت على النصح، وعدم رفض الآخر، والحكم عليه من مظهره، وهي بهذا تستجيب لرؤى ال سعد الإنسانوية حيث يتكامل النهج القصصي ليتحول إلى ممارسة خطابية.

نستنتج بأن ثمة تشكل خطابي، يندرج في خانة التقويض لقيم سلطوية تتصل بمنتجها كالمجتمع والرجل حيث تضطر المرأة إلى التخلي عن أحلامها بالدراسة، أو الحب، أو الزواج ممن تحب أو حتى أن تتقبل الخنوع، وخيانة زوجها خوفاً من اتهمها بالتمرد، وجرح القيم المجتمعية التي تجعل من المرأة تابعاً بحجة قيم الأسرة وعاداتها، وهنا نكتشف بأن ثمة اختلالاً قيمياً في ما يتعلق بتقدير الوالدين، وطاعتهما، فأي تمرد من المرأة تجاه الأسرة سيجعل من المرأة آثمة، وهنا نتصل بقصص أم أكثم، وسارة، وبشرى ناصر والأخيرة تسعى لانتهاك القيم الموروثة، فلا جرم أن تدفع شخصياها ثمن جرأتها على تحدي المنظومة القيمية حيث تضطر إحدى شخصياتها إلى العيش خارج البلاد بعد أن ضربت بعرض الحائط قيم المجتمع والأسرة كما في قصة «امرأة الخوف» : «وأظن أن الخوف قد بدأ بفرض سلطته وسطوته منذ اخترت ذات يوم بعيد امتطاء صهوة التمرد على الأسرة والقبيلة، فلكل قرار نتائج، ولكل فعل ردة فعل» [1].

تنطوي قصص بشرى ناصر على مستوى لغوي، ينحاز إلى توظيف نبرة تتسم بالمواجهة حيث تطغى مفردات لطالما شكلت مستويات من التابوهات، فلا جرم أن يتلبس الخوف الذات بتكوينها الأنثوي حينما تضطر إلى اختراق دلالات مركزية في المجتمع بكل ما تحمله من قوى قيمية تتصل بمرجعية الدين والعادات والتقاليد، مع إيمان عميق بأنها لا تمت بصلة لهذه المرجعيات التي تنتهجها المجتمعات لقهر الأنثى التي يحال بينها وبين تقديرها لذاتها، ولرغباتها، وهذا يشبه ما في قصة دلال خليفة « اللوحة» ضمن مجموعة « أنا الياسمينة البيضاء» التي تعالج تقدير الذات الانثوية بوصفها إنساناً، يحق له تملك حريته وتقرير مستقبله [2].

تستهدف المعالجة القيمية للقصة القطرية عدداً من المقاصد التي يمكن أن تتحول إلى استراتيجيات خطابية، تمارسها الكتابة التي تعنى بشكل واضح بالنسق الاجتماعي الذي ينهض بشكل جوهري على قصص ذاتية الطابع، فثمة عدد كبير يشي بنقد قيم الاختلال القيمي للعلاقة التي تنشأ بين الزوج والزوجة في ظل سيطرة قيم مادية، وتنهض على الأنانية وتقدير الذات، وهي غالبا ما تُناط بالرجل متمظهراً بدور الزوج في المؤسسة الزوجية، وهذا ما يتصل بتصوير العبث الذي يقوم به « الرجل» المطلق من حيث الانسياق وراء لذاته وشهواته التي باتت في المتناول نتيجة توفر الثراء المادي. ولنتأمل مجموعة من القصص التي كتبت من لدن كاتبات وكتاب حيث تتفق على نموذج الرجل الفاقد لقيم الالتزام، وهي قيمة تبدو مهيمنة على مجاميع قصصية كثير حيث يجتمع الاتجاهان، فهي بدأت مع النعمة، واستمرت مع المريخي، وخليفة هزاع، وأحمد عبد الملك، وحصة العوضي، وهدى النعيمي، ودلال خليفة، وكما في قصص وداد الكواري، ومنها قصة «إلى متى»، أو في قصة محمد

(1) ناصر، بشرى، عناكب الروح، ص 9.

(2) خليفة، دلال، أنا الياسمينة البيضاء، ص 47.

الباكـر التي تعالج انهيار الأسرة نتيجة فساد الأب، وكما في قـصة «بيوت مـن ورق»، أو في قصة محسن الهاجري «عيـب يـا بنـت» [1]، أو من خلال شيـوع أنانيـة الزوج، وتبـدد قيم الإيثار كما في قصة هـدى النعيمي «احتكار» [2]، أو فقـدان قيمة الوفاء من خـلال الزوج الذي يتنكر لزوجتـه، ويتخلى عنها كما في قـصة «الاختبار الصعب» لأمينة العمادي[3]، وغيرها الكثير.

لا يمكـن إلا بأن نسلـم بأن المنظـور القيمي بالمجمل مرتبـك، مـع الإقرار بتميـز بعـض الأصوات التي تتبنى منظـورا واضحـاً من حيـث تبديـد المنظومـة القيمية، واستبدالها بمنظومة تراعي التّحولات الجديدة، ولاسيما كلثـم جبر، ونوره ال سعد وبشرى ناصر وحصة العوضي وهـدى النعيمـي، ودلال خليفـة، وهـي كتابـة تنتمي إلى المجال الأنثوي، ولكـن ذلك لا يمنع من توافقها مع بعض الطروحـات الماضوية ولكن من وجهـة نظر فساد الرجل في معظـم الأحيـان، وبعـض من فـساد المجتمـع؛ ولهذا لجأت إلى أنساق مترددة، وكنائية في بعض الأحيان.

سادساً: الخاتمة

لوحـظ بأن القصة القطرية تنشغـل بالقيم بوصفها مظهراً اجتماعيـاً وهوياتياً ثقافياً، ولهـذا بدت منتشرة في المتون القصصية من زمن تشكل الخطاب القصصي إلى يومنـا هذا، وهـذا يعني بأن ثمة قلقـاً قيمياً مزمناً، غير أن هذا القلـق يتخذ تكوينين خطابيين تبعاً للمنظور حيث ثمة اتجاه ارتيابي يهدف إلى صون المنظومة القيمية بتكوينها الأخلاقي المنغلق على الذّات، في حين أن هنالك اتجاهـا مخالفا يهـدف إلى انتهـاك المنظومـة القيمية واستبدالهـا بأخـرى أو تعديلهـا كي تستجيـب لتحولات العصر، أو للتخفف من بعض الأنساق السلطوية، بيد أن الملاحـظ بأن هذا النهـج لم يتبع نسقـاً تسلسلياً بل كان تزامنياً، بـل إنه تكاد تُوجد النزعتـان لدى كاتب واحد، وإن طغـت واحدة علـى الأخرى، مما يعني بـأن القصة القطريـة نـشأت، وهـي تحمل جينـات من التّمـرد على المنظور القيمـي بطابعه المتعالي تبعـاً لسياقات سياسية وثقافيـة واجتماعيـة ودينيـة، وفي معظمهـا جاءت عبر خطابات نسوية، بيـد أن مجمل الخطاب القصصي بدا قيمياً بامتيـاز أو مقاوماً للتحول القيمـي مما يعني بأنه خطاب متنازع عليه، ولا مستقر حتى اليوم.

المراجع:

المصادر والمراجع العربية والمترجمة:

- ال سعـد، نـوره، بارانويـا، ط1، بـيروت، المـؤسسة العربيـة للدراسات والنشر، 2013.
- ال سعد، نوره، بائع الجرائد، ط1، الدوحة، 1989.
- ابـن منظور، لسان العرب، ج12، دار صادر، بيروت، 2003، مادة «قوم».
- أبو شهاب، رامي، الأنساق الثقافية في القصة القطرية، ط1، إدارة البحوث، الدوحة، 2016.
- جـبر، كلثم، أنـت غابة الصمـت والـتردد، مـؤسسة العهد، الدوحة، 1978.
- حافـظ، صبري، وآخـرون، القـصة القطرية في قطـر بيبليوجرافيـا شاملـة ودليل وصفـي تحليلـي، إدارة البحوث والدّراسات الثقافية، الدوحة، 2016.
- خليفـة، دلال، أنـا الياسمينـة البيـضاء، ط1، دار العلـوم، 2002.
- خليفـة، دلال، دب مـن الفراء الأزرق، مجلـة الدوحة، ع 26، الدوحة، يناير 2010.
- رابوبـرت. س، ترجمة أحمد أمين، مبـادئ الفلسفة، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013.

(1) تتناول القصة مفارقة قوامها اضطرار أرملة للبكاء، كما الاستجابة لقيم المجتمع التي تمنعها من الخروج في أيام العدة، كل هذا من أجل رجل كان يضربها. ينظر محسن الهاجري، حرام عليك، ط1، الدوحة، 1998، ص51.

(2) تلجأ هدى النعيمي إلى كتابة تستند إلى التوصيف الكنائي، أو الاستعاري الرمزي التاريخي بهدف نقد الممارسة الذكورية والمجتمعية؛ ولهذا فإن معظم قصصها تبدو في بيئات مختلطة غير واضحة المعالم، أو لا تعبر عن البيئة القطرية كما في قصص أباطيل. كما ينظر ملخص قصة احتكار. حافظ، صبري، القصة القصيرة، ص 346.

(3) ينظر المصدر السابق، ص 361.

- عبد الملك، أحمد، نوافذ على شرفة الروح، ط1، مؤسسة الرحاب للنشر، بيروت، 2014.
- العوا، عادل، العمدة في فلسفة القيم، ط1، دار طلاس، دمشق، 1986.
- الغزالي، إحياء علوم الدين، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2005.
- فايز، جمال، الرحيل والميلاد، ط3، مطابع قطر، الدوحة، 2012
- فايز، جمال، الرقص على حافة الجرح، ط5، طابع قطر الوطنية، الدوحة، 2015.
- كافود، محمد، الأدب القطري الحديث، ط2، جامعة قطر، الدوحة، 1982.
- كافود، محمد، وآخرون، القصة القصيرة في قطر، جامعة قطر، الدوحة، 1985.
- المكي، هشام، سؤال القيم بصيغ متعددة، ط1، مركز نماء للبحوث، بيروت، 2015.
- ناصر، بشرى، عناكب الروح، ط1، إدارة البحوث والدراسات، الدوحة، 2013.
- النعيمي، هدى، أباطيل، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،2001.
- الهاجري، محسن، البلاغ وقصص أخرى، الدوحة، 1996.
- الهاجري، محسن، حرام عليك، ط1، الدوحة، 1998.
- هارفام، جيفري جالت، الأخلاق والنقد الأدبي، مجموعة من المؤلفين، موسوعة كمبريدج القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، تحرير ك. نلوولف وآخرون، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
- هزاع، خليفة، وجوه متشابهة، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الدوحة، 2006.

المصادر والمراجع الأجنبية:

- Abrams, M. H., A glossary of literacy terms, seventh ED, Thomson Press, India, 1999.
- Cosgrove, Shady E, Literary ethics and the novel; or, can the novel save the world? University of Wollongong, 2007.

المواقع الالكترونية:

- Form Of Moral Discourse English Literature Essay?cref=1%3E..» UK Essays. UKEssays.com, November 2013. Web. 27 January 2017. <https://www.ukessays.com/essays/english-literature/form-of-moral-discourse-english-literature-essay.php?cref=1%3E.?cref=1>..
- Schroeder, Mark, «Value Theory», The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Fall 2016 Edition), Edward N. Zalta (ed.), URL = <https://plato.stanford.edu/archives/fall2016/entries/value-theory/>.
- https://www.arab-ency.com/_/details.php?full=1&nid=12088
- http://www.dictionary.com/browse/axiology
- https://en.oxforddictionaries.com/definition/axiology